السّلطةالأبويةفيالأسرةالجزائرية:

امتداديةأمقطيعةمعالنمطالمجتمعيالتّقليدي

الأستاذ عمر داود، جامعة تيارت

ملخص

بالرغممنالتحولاتالعميقةوالمعقدةالتيتشهدهاالمجتمعاتلاتزالالأسرةتشكلالوحدةالاجتماعيةالأساسيةفيالبناءالاجتماعيبتأسيسهالمختلفالروابطوالحفاظعليها،غيرأنّهاقدعرفتفيمختلفتمظهراتهاتغيراتجوهريةمسّتعلىوجهالخصوصبنيتهاووظائفهاوالعلاقاتفيمابينأعضائها.

وتبقىالأسرةالجزائريةعلىغرارأسركالمجتمعاتالإنسانيةتحاولإعادةإنتاجمنظومتهاوالاستمرارفيالمحافظةعلىالقيموالمعاييرالأسريةالتقليدية،وإيديولوجيتهاالأبويةالتيتفرضعلىالأباحتلالالموقعالمركزي،واحتكارالسّلطةوالنفوذوحريةالتّصرف،وتستخدمشتىأدواتالممانعةوالمقاومةوالتفاوضمعواقعهاالمتحول،الذيفرضعلىالفعلالاجتماعيالتّوجهنحوالتّمدن،وفتحالمجالأمامالمساهمةالنّسائيةفيمختلفالحقول،وسمحببروزالفردوفرضاختياراتهوميولاتهوأذواقهفيشتىالمجالات،مااستلزماللجوءإلىأشكالسلطويةأسريةأخرى،أوالاستمرارفيشرعنةالتمايزاتوالتفاوتاتوالإقناعبها،وتقديسها،وتبنيصيغأخرىللحفاظعلىنوعمنالتمثلالإيجابيللسلطةالأبويةكتدبيرمزدوجيؤجلالقطيعةمعهذاالنمطالتقليديويحاولجاهدًااستمرارامتداديةهذهالسلطةولوفيشكلهاالرمزيفقط.

الكلماتالمفتاحية: الأسرة – السلطة – التحول.

Summary: The theme of parental authority in the family is considered among the new themes that has caused a social evolution in the Algerian society. In this study we will try to focus on how to understand and treat the issue of parental authority in the Algerian family from a structural and functional point of view in relation with the symbolic of these emerging new social actors, that attempted to impose a new position, due to a cultural change in the Algerian society.

It seeks the indicators of the extension of the parental authority in the present Algerian family, and on the other hand found other indicators of the break with the type of the traditional family authority.

Therefore, this article demonstrates that the Algerian family to maintain some of the characteristics of the traditional type with the existence; a significant change in the distribution of work between the individuals and the quality of the roles, rights and duties and the disparity in the responsibilities and authority in the family have been done. This does not mean the adoption of the current Algerian family the nuclear Western type, yet this separation is accompanied by the continuity of the many traditional social commitments.

Keywords: family - authority - mutation.

مقدمة

ماهيالسّلطة؟وماطبيعةالسّلطةالتيترتكنإليهامؤسسةالأسرة؟وماهيمرجعياتها؟وماهيآلياتاشتغالها؟وكيفيتمفيأحضانهااستقبالعمليةالمرورالاجتماعي؟وماالذيينجمعنهذاالمرورمنصراعاتواختلالاتومزاحماتعلىالسّلطة؟وهلطبيعةالسّلطةفيالأسرةالجزائريةتتجاوزالمستوىالأسريإلىمختلفالمستوياتالمجتمعيّةالأخرباعتبارهاالنّموذجالمصغرللمجتمع؟

تبررهذهالأسئلةوغيرهاالحاجةإلىالاشتغالبموضوعالسّلطةفيالأسرةالجزائرية،لمحاولةاكتشافنظامهاالرّمزيوالماديوتحليلآلياتإنتاجهاوإعادةإنتاجها،وعليهفقدانصبالتّساؤلالإشكاليلهذهالورقةالبحثيّةحولالدينامياتالمرتبطةبمساراتتحدرالسّلطةالأبويةفيالأسرةالجزائريةوالعواملالتيتحددشروطاستمرارهاوتحوّلها،فضلاًعنمحاولةالكشفعنالآلياتالتيتمكنهامنالتفاوضمعالواقعوتحولاتهاالاجتماعيةالمختلفة.

وهومايحيلبالضرورةإلىتفكيكسؤالالعلائقبينعناصرهذهالأسرة،الأمرالذييتطلبالانفتاحواستنطاقالقيمالأسريةوممارساتهاوظواهرها،ومايتأسسفيأبنيتهامنسلطووظائفتراهنواقعهاوتكشفعنالتراتبيّةالمعلنةأوالمضمرةعلىحدٍسواء.

وباعتبارالسّلطةمطلبًاهامًالكلتنظيماجتماعي،والحقالمقررلممارسةالضبطالاجتماعي،فهيتشمل جانبيالقوةوالتأثير، وتستمد مرجعيتها من ثقافة المجتمع، وتُمارس باختلاف أشكالها ضمن نسق قيمي متعارف عليه في الجماعة، وبما أنّ الأسرة هي بمثابة الخلية التي تدور في فلك النّسق العام،

فهي على غرار بقية مؤسسات المجتمع تشهد تحولات نسقية متعددة، ما يفرض وضع إطارٍ مبدئيٍ ومرجعيٍ تتم به المقارنة لمعرفة مختلف التّغيرات، لذلك يبقى الإطار المرجعي هو المجتمع التّقليدي باعتباره نموذجًا اجتماعيًا واقعيًا له وجود سوسيولوجي كافٍ لجعله إطارًا مبدئيًا لمعرفة مؤشرات الامتدادية والقطيعة.

وهو ما لا يعني بالضرورة اشتراك كلّ الأسر الجزائريّة في نهج شكل موحّد من النّمط السّلطوي الأسري، فقد تتخذ هذه الأسر عدّة أشكال سلطويّة، تعبر عن نتاجٍ محددٍ لشرطٍ مجتمعيٍ متعدد المتغيرات والأبعاد، الأمر الذييُبعد الموضوع عن أي نزعة تعميميّة، ولا يسمح بالوصول إلى تشكيل إطارٍ شموليٍ مكتملٍ لأسرةٍ جزائريةٍ في محك التّحول، مع إمكانية فتح منافذ نُطّل منها للاقتراب أكثر من فك شفرات الموضوع بالممازجة بين المنظوريّن البنيوي والوظيفي التّفاعلي، ما يتطلب تحديد الأطر المفاهيميّة بشكل يرفع اللّبس عنها، ويخفف من كثافة حمولتها.

1–الإطار المفاهيمي:

1–1 السلطة:

يتجاوزمفهومالسلطةالمعنالسياسيالمحض،ويقتحمبذلككلّالحقولالاجتماعية،ويفرضنفسهعلىأيتجمعبشري،لذلكفالسلطةظاهرةقديمةعرفتهاكلّالمجتمعاتالبسيطةمنهاوالمعقدةعلىحدٍسواء،لأنّهاضروريةوحتميّةتعتمدعليهاجلالمؤسساتالتنشئويةلاستقامةالحياةالاجتماعيّةوضمانبقائهاوانضباطالأفراد،مايجعللفظةالسلطةAutoritéتحملمعانٍمتعددةمتناسبةمعاختلافسياقاتتوظيفها،فهيمشتقةمنكلمةAutoritasاللاتينيةالتيتشيرإلىالتأثيرالمطبّقعلىالآخرينللتحكّمفيبعضسلوكهمومواقفهم[1]، ويبدوأنّهاحديثةالاستعمالحيثلميتمالعثورعلىمعناهااللّغويالعربيفيالقواميسالقديمةالمتخصصة كلسانالعربأوالقاموسالمحيطوغيرهما،غيرأنّعبارتيالسَّلطُوالسّليطتحملانمعنىالشدّة،وكلمةالسلطانتحيلإلىالحُجّة،وقدرةالملك[2]،بينمايحصرالمعجمالوسيطمعنى "السُّلطة"

في « السيطرةوالتحكّم،والتسلطيعنيالتحكموالتمكنوالسيطر » [3]،ويعرّفهاالمعجمالفلسفيب« كلمايحددسلو

كًاأورأيًاالاعتباراتخارجةعنالقيمةالذاتيّةللأمرأوالقضيةالمعروضة »[4] ،وهومايعنيأنّالسّلطةهيالقوةالمفروضةعلىا لأفراد،والتيتخرجعنإطاراختياراتهمالذاتيّة،وتتحكمفيسلوكاتهم،وتحددمواقفهمفيبعضالقضايا.

فيحينيربدينكنميشيل Duncun Mitchellأنّالسلطةتحملدلالةممارسةأحدأشكالالقوةالتيتكمنفيالتأثيروالسيطرةالجبريةلتوجيهالأفرادنحوتح قيقالأهدافالخاصّةوالعامّة،وتقومبتنظيمجهودهمواجباتهم،ويقسّمهاماكسفيبر Max weberإلىثلاثةأقسام: السلطةالتقليدية،والعقلية (الشرعية)،والكريزماتية،ويرىأنّالأولىهيامتدادلنظمكانتموجودةفيالأزمنةالسابقة،وتستندإلىشرعيتهاالتاريخية ،بينماالثانيةتعتمدعلىالطرقوالأحكامالقانونيةالعامّة،فيحينيتمحورالقسمالثالثحولشخصيةالفردالذييتميزبب عضالصّفاتوالمزاياالمقدسة،وتفقدالسلطةشرعيتهاحينماتخفقفيالمحافظةعلىالنّظاموضبطه[5] ،باعتبارهاقادرةعلى بإلزامالغيربفعلماليكنليفعلهمنتلقاءنفسه،إمّابصيغةترابطيةتأخذشكلالبرامجالمسطرةوالتعليماتالتوجيهية،أوب الصيغةالترابطيّةالتيتتأسسعنطريقإصدارالأوامر[6] ،وتعرّفالسلطةبصّفةعامّةبأنّهاتلكالقوةالضاغطةفيالمجتمعوالم رتبطةبنسقالمكانةالاجتماعيّة،والموافقعليهامنجميعأعضاءالمجتمع،وتعملعلىتوجيهسلوكالأفرادبصورةمحددة ،مايعنيأنّهاتمثلتلّكالقوةالنظاميّةوالشرعيّةفيأيمجتمع،والتيتستمدشرعيتهامنالمجتمعوثقافته،وترتبطبنسقالتراتبا لاجتماعيالمعترفبه،لذلكتلقىفيالغالبالموافقةمنقبلجلالفاعلينالاجتماعيين.

1–2 الأسرة:

نتيجة لاختلاف المدارس والاتجاهات النّظرية السّوسيولوجيّة يصعب حصر الأسرة من النّاحية المفاهيميّة، غير أنّه من الممكن تناولها من عدّة زوايا، وقبل الخوض في ذلك يؤكد مصطفى بوتفنوشت في حديثه عن العائلة الجزائريّة على عدم وجود فروق واضحة بين مفهوميّ الأسرة والعائلة، فهما يعنيان ثنائي الزّوج والزّوجة وأبنائهما، ويجمعان في الآن ذاته الأسلاف والخلف التّابعين للدّار الكبيرة[7].

أما أوغست كونت A.Comteفينعت الأسرة بالخلية الأولى في جسم المجتمع، لأنّها تشكّل النقطة الأولى التي تبدأ منها في التّطور، وهي الوسط الطّبيعي الاجتماعي الذي يترعرع فيه الفرد،

ويصّفها هربت سبنسر H.Spencerبالوحدة البنائيّة التي تتكون من رجل وامرأة تربطهما علاقةزوجيّة متماسكة، وقد يُضاف إليها الأطفال والأقارب، ويكون وجودهما قائم على الدّوافع الغرائزيّة والمصالح المتبادلة والشعور المشترك، بينما لا يُخرجها عاطف غيث في قاموسه عن إطارها الاجتماعي البيولوجي النّظامي، والتي تتكون نتيجة تلك الرّابطة الزّاوجية المقرّرة اجتماعيًا بين الرّجل والمرأة[8].

في حين حاول كلٌ من برجس E.W Burgessولوك H.J.Lockeفي كتابهما "الأسرة" تعريفها بتلك المجموعة من الأفراد الذين تربطهم روابط قوية ناتجة عن صلات الزّواج، والدّم والتّبني، ويعيشون في بيت مشترك، ويتفاعلون سويًا ويتقاسمون الأدوار مكوّنين ثقافة مشتركة وعلاقات اجتماعيّة متماسكة أساسها المصالح والأهداف المشتركة[9]، ولا يكاد الأمر يختلف عند راد كليف براون R.K.Brownالذي عادةً ما يوظف مفهوم الأسرة الأوليّة، والتي تتألف من الرّجل وزوجته وابنهما أو أبنائهما[10]، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة هي إشباع الحاجة العاطفية، وتهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي المناسب لرعاية وتنشئة الأبناء، وتُعرّف الخولي الأسرة من زاوية أخرى مختلفة عندما تجعلها مرتبطة بمجموع المكانات والأدوار المكتسبة عن طريق الزّواج والإنجاب[11]، ما يعني وجود علاقات تبادليّة متوازنة ومتقاطعة تحدد مكانات عناصر الأسرةوأدوارهم التي تسعى إلى تحقق أهدافها وضمان الحفاظ على توازناتها الدّاخلية واستمراريتها وبقائها.

ومن خلال هذه التعاريف، يمكن القول أنّه من الصّعب الوصول إلى تعريف يلقى بعض الإجماع، بحيث تركز كل محاولةٍ لأجل ذلك على بعض الجوانب التي تبدو لها أهم من غيرها، فتتأرجح زوايا الاهتمام بين النواحي التّنظيميّة، والوظائفيّة، والتّفاعليّة، وعليه يمكن تحديد الأسرة بتلك المؤسسة الاجتماعيّة ذات الوجود العالمي، والنّظام الاجتماعيالمركّب والمعقد بنبائه ووظائفه وأهدافه وديناميته، والذي يعتمد على عناصره البيولوجيّة، وثقافة المجتمع التي توجهه وتعدّل من وظائف عناصره وأدوارهم وسلطهم وتفاعلاتهم وتفضيلاتهم بما يتناسب طبيعة المجتمع وظروفه وتحولاته.

1–3 السلطة الأبوية:

يشيرمعنىالسلطةالأبويةإلىذلكالخضوعالتاملكلأفرادالأسرةل"ربالعائلة"،والذييتمثلعادةفيالأب،بحيثتكونالعناصرالأخرىفيمركزلايملكونحيالهسوىالامتثالللقراراتهوطاعةأوامره،وتستمدهذهالسلطةشرعيتهابناءًعلىماتمليهعاداتوتقاليدوأعرافالمجتمع،التيتحيطهبالاحتراموالهيبةوتجعلالجميعتحتإمرتهومسؤوليته،وأدنىعصيانأوتمردٍيُعدخروجًاعنثقافةالمجتمعوقيمهوعاداتهوتقاليدهالتيتعتبرشأنًامقدسًافيالمجتمعاتالتقليدية،وهومايؤكدههشامشرابيعندحديثهعنالمجتمعالعربي:

«إنّالطابعالذييطبعجميعهذهالعلاقاتهوطابعالسلطةالفوقية،فصاحبالسلطةفيمجتمعناومنيمثلهأويمثلالسلطةهوالذييملكويستفيد،بينماباقيالأفرادتقبلوترضخوتمتثل،والكبيرفيالمجتمعهودوماالذييتسلطويحكمويسيطر (...)

وليسالكبيروصاحبالسلطةوالمركزفيالمجتمعإلاّصورةمكبرةللأبفيالعائلةبتصرفاتهونظرتهلنفسهوعلاقتهبمندونه (...)

ليسمستغربًاأنينموالفردالذكرفيمجتمعناقضيبيًاينزعفيشخصيتهإلىحبالبروزوالسيطرة،ويحتقرالمرأة،ويميلإلىإذلالمنهمأضعفمنه،فتكونشخصيتهعلىصورةأبيهوارتكاسًالها»[12]،وهوالأمرالذييؤديإلىتشكيلالتمثلالجمعيلهذا"الأب"

والذيينبنيعلىمعطياتدينيةوثقافيةواجتماعيةواقتصادية،وهومايعكسعملياتالدمجبينالفردوأسرتهفيالتفكيرالمحافظوالنمطالمجتمعيالتقليديالذييربطبينهمابالارتباطالوثيق؛فيجعلمنالأبناءالملكيةالخاصةلآبائهم،فهذاالأخيرهوالذييقررعددأبنائه،ويحددكيفيةتنشئتهم،وغالبًامايعتبرأبناءهامتدادًاله،وقدتنجحعمليةالتطبيعالاجتماعيفيمرحلةطفولةالأبناء،ويكونبعضهممصدرًاللفخروالتباهيوالمكافأة،بينماقديتحولالأمرويتأزمالوضعبمجردبلوغالابنمرحلةالرشدونزوعهإلىالاستقلالية،وغالبامايتنقدالآباءأسلوبحياةأبنائهم،وطريقةاختيارهملأصدقائهم،وأذواقهم،وميولاتهمالمختلفة...،بينماتكونالمرأةفيمثلهذهالمجتمعاتالتيتمنحالسلطةللأببالمرأةأكثرتقيّدابالأسرةوأكثرخضوعًالآلياتالضبطالاجتماعيمنالرجل،والرجلأكثرانخراطًافيالمجالالعاممنها.

1-4 المنظور البنيوي الأسري:

إنّ المقصود بالمنظور البنيوي الأسري هو الشّكل الذي تتبناه الأسر في تركيبتها، والذي يفرضه المجتمع وحركيته وأهم تحوّلاته السّوسيو ثقافيّة، وعليه يمكننا تحديد الأشكال التي تعرفها الأسر على النّحو التّالي:

أ-الأسرة الممتدة La famille étendue: تتكّون الأسرة الممتدة بنائيًا من ثلاثة أجيال أو أكثر، فهي تضم بذلك الأجداد وأبنائهم المتزوجين وغير المتزوجين والأحفاد[13]، المقيمين في المسكن المشترك، ويُعتبر هذا الشكل النّمط الشائع في المجتمعات البدائية والمجتمعات التّقليديّة، وهي عبارة عن جماعة نظاميّة الملكيّة والسّلطة، بحيث تكون هذه الأخيرة بيد رئيس الأسرة بصّفة تكاد أن تكون مطلقةً، فتنتقل هذه السّلطة من الجد إلى الأب فالابن الأكبر.

ب- الأسرة النووية La Famille nucléaire: تقتصر الأسرة النّووية على جيليّن، إذ تضم الزّوجيّن والأبناء غير المتزوجين فقط، والمقيمين في مسكنٍ واحد، وأحيانًا يتم استخدام مفهوم الأسرة الزّواجيّة للإشارة إلى هذا الشّكل من الأسر، كما أنّ شدّة الحراك الجغرافي وشيوع النّزعة الفرديّة التي انعكست على عدّة مظاهر كالملكيّة والقانون والتّمثلات الاجتماعيّة العامّة المتعلقة بمعايير النّجاح الاجتماعي وتحقيق الفرد لسعادته وإرضاء ذاته جعلت هذا النّموذج من الأسر مقرونًا بالمجتمعات الحديثة، لذلك فإنّ وظائف هذا الشّكل الأسري تقتصر في الغالب على الوظيفة العاطفيّة والجنسيّة والتّربويّة والاقتصاديّة[14].

ج-الأسر المتعددة الزّوجات La polygame: غالبًا ما يكون هذا الشّكل مرتبطًا بالمجتمعات الزّراعيّة التّقليديّة وبالنّمط الممتد، ويتميز عنه وعن الأشكال الأخرى بوجود زوج مشترك بين زوجتيّن أو أكثر.

د-الأسر متعددة الأزواج La polyandrie: يعتبرهذاالشكلمنالأشكالالنّادرة الانتشار، إذ لايوجدإلاّ فيالقبائلالمعزولة في بعض الجزر،وهو النّمط المفضل عند سكانجزر ماركيز في بولينيزيا Les îles marquises Polynésie حسبميردوك، وعندقبائلالنوداNoudaفيجنوبالهند،كما أنّهيظهرفيشكل متفرق ومشتت في بعض المجتمعات الأخرى[15]، وهو يعنيوجود زوجة مشتركة بين رجليّنأوأكثر.

هـ-الأسر أحاديّة الوالدين Monoparentales: وهيالتييعيش فيهاأحدالوالديّنفقطمعالأبناءويتكفلبهم، إمّابسببالطّلاقأوالهجرأوموتأحدهما، وغالبًا ما يكونهذاالشّكل من الأسر مرتبطًا بالنّمط النّووي، وبالمجتمع الحديث الذي يتميّز بغياب التّضامن القرابي من جهة، ومطالبة الأفراد بالاستقلاليّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة من جهة أخرى.

و-أسر النّمط الوالدي المتعدد La pluriparentalité: يرتبط وجود هذا الشّكل الأسري بالممارسات الزّواجيّة الحرّة، التي تتم بعقود معنوية غير قانونيّة تشترط في الغالب قبول كلّ طرف بتبني أبناء الطّرف الآخر، وفي حالات عدم التّفاهم يترك أحدهما الآخر، دون أن يترتب عن ذلك أي ضرر معنوي أو مادي، ويجدد كلّ واحد منهما حياته الأسريّة مع أطراف أخرى جديدة.

ي- الأسر الزواجيّة من النوع نفسهHomo parentale:وهي الأسرة التي تنتج من الزّواج المثلي، أي عقد القران بين رجليّن أو امرأتيّن، فقد كان هذا النّمط يتم بالطّرق غير القانونيّة، وزاد انتشاره في أوروبا لما أصبحت قوانين بعض الدّول تبيح الزواج بين رجليّن على غرار الدنمارك1989، والنرويج 1993، وهولندا1998، ثم بلجيكا، وإسبانيا، وايرلندا...، وتعطي لهذه الأسر الحق الكامل في تبني الأطفال، ما ترتب عن ذلك الاعتراف القانوني بوجود هذا الشّكل الأسري الجديد، ومن المرجح أن يتم سن قوانين أخرى ترفع الحظر عن الزواج المثلي النّسائي نتيجة ضغوط هذه الفئة.

1-4 المنظور الوظيفي التّفاعلي:

المقصود بالمنظور الوظيفي التّفاعلي هو مجموع الممارسات الوظائفيّة التي أوكلها المجتمع للأسرة، ومجمل أدوار عناصرها، والتي تتأثر بعلاقاتهم وتفاعلاتهم مع نماذج الطّاعة ومسايرة النّسق القيمي المجتمعي أو رفضه ومواجهته، فهو ينظر إلي الأسرة كنسق اجتماعي ذي أجزاء معينة يربط بينها التّفاعل والاعتماد المتبادل، ويهتم بزاوية أدائه لوظائفه تحقيقًا لبقاء النّسق وتوازنه وتحقيق التّكامل الوظيفي للنّسق الكلّي، كما يتم التّركيز على العلاقات الدّاخليّة للنّسق الأسري، وعلى مختلف العمليات كالنّمط السّلطوي السّائد، وتوزيع الأدوار، وعلاقات المركز...

وإجمالاً يمكن تحديد أهم وظائف الأسر التّقليدية كما يلي:

الوظيفة الاقتصاديّة: بالرغم من محدوديّة الحاجات الاستهلاكيّة للمجتمعات القديمة، فإنّ الأسر التّقليدية كانت بمثابة الوحدة الاقتصاديّة، إذ كانت تسعى للاكتفاء الذّاتي، فلا تستهلك في الغالب

إلاّ ما تنتجه، ما يجعل عناصرها باختلاف نوعهم وسنهم ينخرطون في العمل الإنتاجي الاقتصادي، كالتّحطيب، وغزل الصّوف، ونسج الملابس، ورعي المواشي، والعمل الزّراعي...، فهي تنتج وتستهلك وتعيش على الزّراعة، وملكيّة الأرض بيد رب العائلة (الجد، أو الأب، أو الأخ الأكبر سنا)، ما يجعله المتحكم في توزيع قيمة الإنتاج على أفراد أسرته حسب وضعيتهم الاجتماعيّة، وهو الأمر الذي يمنع الأبناء من الخروج عن أطرهم الأسرية.

الوظيفة التّعليميّة: لم تكتف الأسر التّقليدية بتعليم أفرادها الكتابة والقراءة فحسب، بل كانت تلقن لهم مختلف المهارات الحياتيّة، والحرف كالصّيد والزراعة والشؤون المنزليّة....

وظيفة الحماية: لقد كان الأب مسؤولاً عن توفير الأمن وحماية عناصر أسرته، ويتقاسم هذه الوظيفة مع ذكور أسرته، بينما ينفرد بتحقيق الحماية الاقتصاديّة، وتتعاون معه زوجته في توفير الحماية النّفسيّة والاجتماعيّة إلى غاية تقدّمهما في السّن، وتتحول حينها هذه المهمة إلى أبنائهم.

الوظيفة الدّينيّة: تتكفل الأسر التّقليدية بتعليم أبنائها عقائدهم الدّينيّة، وترسيخها بمساعدتهم في تلاوة النّصوص المقدّسة، ومرافقتهم في ممارسة مختلف الطّقوس المرتبطة بها.

الوظيفة التّرفيهيّة: وتُعتبر من الوظائف الثّانوية، وغالبًا ما تكون مقترنةً بتعليم المهارات كالصّيد والفنون القتاليّة...

ومنجانبآخر، كانتأسرالمجتمعاتالبدائيّةأمويةMatrilinéaireتقتفي العلاقات القرابيّة خط الإناث[16]،فكانتالسّلطةبيدالمرأة،لأنّهاكانتتقضيمعظمالوقتبالبيتتربيأولادها،فيحينكانالأزواجوالرّجاليغيبون عنأسرهمطِوالالنّهار،نتيجةرحالاتالصّيدالمطّولة،وبتقدّمالمجتمعاتوانتشارالزراعة،استقرتالأسروبدأتالسّلطةتن حصربشكّلمطلقفيالآباء،فتشكلتالأسرالأبويّةPatrilinéaireوأصبحالكلّتحتإمرته،حتىحُقلهتأجيرأحد عناصرأسرتهأوبيعهأوإعدامه،ولكيتحافظالأسرةالتّقليديّةعلىممتلكاتهافرضتعلىأبنائهاالنّمطالزّواجيالدّاخليأ واللّحميEndogamieوهوالزّواجالذييقعبينأفرادالقبيلةأوالعشيرةأوالقريةأوالطبقةالاجتماعيةأوالجماعةال دّينيّةالواحدة،ويفرضالمجتمععلىالمخالفلهاأشكالاًمختلفةًمنالعقابتحقيقًاللوحدةوالانسجامبينأعضاءالجماعة[17].

وبنشأةالمدنوالحواضرالكبرى،وظهورالكياناتالسّياسيّةوالمنظوماتالقانونيّةالتيانشغلتبالمطالبةبتحقيقمختلفحقوقالإنسان،تمكّنتمنالحدّمنالسّلطةالأبويّةالمطلقة،وانتزعتمؤسساتالدّولةالمخولةالكثيرمنحقوقربّالأسرةوأصبحتتنظمهاعنطريقالقانون[18].

2- خصائصالأسرةالجزائريةالتّقليديّةوتجدرالسلطةالأبوية:

لقدكانت الأسرة التّقليديّة بمميزاتها البنيويّة والوظيفيّة التّفاعليّة متناسبةً مع طبيعة المجتمع الجزائري ومجاله الحيوي الرّيفي حينها من ناحية البنيّة والوظائف والخصائص، إذ كانت تمتاز بكبر حجمها واتّساع بنيتها، لأنّ الفضاء الرّيفي يساعدها على توسيع المسكن أفقيًا أو تغييره كلّما زاد حجم الأسرة، كما أنّها كانت تسعى دومًا للاكتفاء الاقتصادي الذّاتي وما يترتب عن ذلك من توزيع للأدوار واحتكار للسّلطة، وكان هذا النّمط مشتركًا بين كلّ الأسر الجزائر، وهو ما يؤكده بيار بورديو P. Bourdieuبقوله: «بالرغم من أنّ المجتمع الجزائري ينقسم إلى عدّة [ثقافات و]أنواع من القبائل كالشّاوية والعرب...الخ، ولكلّ منطقة عاداتها وتقاليدها، إلاّ أنّ نموذج الأسرة الذي كان يقوم عليه هذا المجتمع في كلّ هذه لمناطق متشابه، حيث أنّ العائلة الواحدة تضم بين أربعة وخمسة أجيالٍ، ويحمل أفراد الاسم الممتد إلى الجدّ»[19]، وأمّا عن خصائصها وبنيتها يذكر بوتفنوشنت أنّ الأسرة الجزائريّة هي عائلة كبيرة موسعة، ما يجعل العديد من الأسر الزّواجيّة تقيم تحت سقف واحد، وهو ما يُطلق عليه بالدار الكبيرة[20]،والعائلة الجزائريّة متشابهة من حيث الخصائص مع العائلة العربيّة، بحيث أن هذه الأخيرة موسعة، وتتميز بكبر حجمها وتشكلّها من ثلاث أجيال وأكثر، وهم جيل الوالديّن الكبيريّن أي الجدّ والجدّة وجيل الآباء والأبناء المتزوجين والمنجبين للأطفال، ويعيش الجميع تحت سقف واحد[21]، وتعطي بذلك أهمية بالغة للعلاقات القرابيّة التي تضمن التآزر والتّعاون والتّضامن والتّماسك والتّعاضد والمناصرة، فيشعر بذلك الإنسان أنّه عضو في أسرته أكثر من كونه فرد مستقل، والقرارات الأساسيّة كالعمل والزواج وتربية الأطفال والطلاق والإرث... شأنًا عائليًا، بمعنى أنّ أي تصرف أو قرار مستقل يُعتبر تمردًا وخروجًا عن الأسرة وتنكرًا لجميلها، ما يجعل الأفراد غير مسؤولين عن سلوكهم الشّخصي فحسب، بل عن تصرفات كلّ أعضاء أسرتهم، وخاصّة مسؤولية الذكور عن الإناث، فيمس بذلك أي "انحرافٍ"

للبنت عائلتها في الصّميم، ومن هنا يمكننا فهم ظاهرة جرائم الشّرف والثأر، وإجمالاً يمكن اختصار خصائص الأسرة الجزائريّة التّقليديّة في النّقاط التّاليّة:

- تتميز بنيتها بكثرة عدد عناصرها، لأنّه يُعتقد أنّ عدد الأبناء والذكور منهم على وجه الخصوص يزيد في المكانة الاجتماعيّة للأسرة، ويساهم في ضمان إنتاج النّشاط الاقتصادي، المتمثل غالبًا في الزّراعة، وفي الحفاظ على الملكيّة العائليّة وعلى إرثها المادي، ولا تسعى إلى تقسيمه خوفًا من تفكك الأسرة، لذلك يُلزم على الأبناء البقاء مع أسرهم التي تؤمّن لهم العمل في حقولها وأراضيها.
- يتناسب مسكنها مع الوسط التّقليدي الجزائري عمومًا، ويُسمى هذا المسكن عند معظم الجزائريين بالدّار الكبيرة أو "الخيمة لكبيرة"، نتيجة لسعته وقابليته للتّمدد الأفقي كلّما أراد أحدهم تزويج أحد أبنائه، أو إذا زاد عدد أفرادها، لأجل محافظة الأسر على وحدة عناصرها وتلاحمهم، وقد تفرض احتياجات ومتطلبات الأسرة التّقليديّة الجزائريّة إقامة أسرها الزّواجيّة في بيوت صغيرة متجمعة ومتراصة في مكان مشترك، يسمح بنوع من الحرية الشّخصية للأفراد داخل أسرهم، كما يضمن عدم الانفصال الكلّي عن العائلة الكبيرة[22].
- يكاد يكون نظامها الاقتصادي موحدًا؛ فبالإضافة لامتهان بعض الأسر لحرف معينة ومتوارثة أب عن جدّ كالنّجارة، والحدادة، والصباغة والدّباغة، والتّجارة، والصّيد...، فإنّ معظم الأسر الجزائريّة كان يزاول أفرادها النّشاط الزّراعي الذي كان يتميز بالاكتفاء الذّاتي، فلا تستهلك الأسر إلاّ ما كانت تنتجه في الغالب، ما يحوّل حيازة الأرض من ثروة مادية صِرفة إلى رأسمال رمزي معتبر يحدد رفعة مكانة الأسرة المالكة.
- تتميّز قيم الأسرة الجزائريّة التّقليديّة ومعاييرها بالطّابع المحافظ؛ فهي شديدة التّمسك بأعرافها وتقاليدها وعاداتها، وتُخضع كلّ عناصرها لها دون نقاش أو تطاول عليها، وتعطي أهمية بالغة للعلاقات الدّمويّة والقرابيّة، وتفرض عليهم الخضوع للسّلطة الأبوية المطلقة متنقلةً من الجد إلى الأب من بعده، أو الأخ الأكبر في حالة غيابهما، لدورهم الأساسي في الإعالة وإدارة مصادر الإنتاج، بالإضافة لتوفير الأمن والطمأنينة، وهو ما يُبرر تسلطه وهيمنته وإخضاع الجميع لطاعة أوامره وفرض كلمته ورأيه، فيُقال عن الفرد مهما بلغ من العمر أو الجاه: ابن فلان، غير أنّ ولادة

الذكر تعتبر حدثًا هامًا فيُستقبل بالزغاريد تعبيرًا لمشاعر الفرحة والبهجة، ومقابل تمجيد الذكورة تُبخّس الأنوثة، وتنتشر المعتقدات الخرافيّة التي تحط من شأن المرأة، وتعتبرها مصدر كلّ شرّ وبليّة تلحق بالأسرة، وهو ما يتم تطبيعه عبر تداول العديد من الأمثال الشّعبيّة على غرار: "الخير امرا، والشّر امرا" و"امرا تعييك وامرا تعلّيك" و"اللّي عينو في العذاب يخالط النّسا والكلاب" و"اللّي يبغي الهراج يكثر من النّسا والدّجاج"...، لذلك تعتبر الأسر التّقليدية الجزائريّة إنجاب الأنثى عيّبًا وعارًا، وتفرض عليها كلّ أشكال القمع، والحرمان من التّعليم، والقسّوة في التّعامل والصّرامة في التّربيّة لتطبيعها على التّحمل والطّاعة، وتُمنع من اللّعب مع الذكور، ولفت الأنظار بعلو صوتها تمثلاً لمعاني الشّرف والحياء والحشمة والحُرمة، وتُكلّف بخدمة أشقائها الصّغار، والاعتناء بهم وحراستهم[23]، كما أنّ عليها تعلّم الأعمال المنزليّة كالطّبخ والخياطة والطّرز والحياكة، وإتقانها وهي لا تزال طفلة، بالإضافة إلى تربية الدّجاج وإطعام المواشي...، ثم تُزّوج في سّن مبكّرة جدًا لأنّ زواجها سترة وحماية لها، وعادةً ما تُجبر على الزّواج من ابن عمّها، وإن تعدّت سّن زواج قريناتها لحقتها كل نعوت الإهانة والاحتقار، وحينها لا يتوانى الأهل في إرغامها الزّواج برجل في السّتين أو السّبعين من العمر.

3-التّحولات المجتمعيّة الجزائريّة:

بالإضافة إلى التّحوّلات الدّيموغرافيّة التي شهدها المجتمع الجزائري، والتي اتسمت بالنّمو السّريع؛ بعد أن كان عدد السّكان لا يتجاوز العشر ملايين في سنة الاستقلال، تضاعف بعد عشرين سنة[24]، ثم انتقل إلى حدود الواحد والثلاثين مليون نسمة في أكتوبر2003، ليصل بعد عشر سنوات إلى عتبات الأربعين مليون نسمة، فإنّ هذه التحوّلات لم تستثن لا المجاليّة منها، ولا القيميّة، إذ أنّ المجتمع الجزائري قد ورث مجموعة من القيم التّقليدية التي تعود إلى ماضيه البعيد، وهذه الأخيرة ترتكز أساسًا على الدّين والعُرف باعتبارهما أهم مصادرها، غير أنّ المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الثّالثيّة يعرف ديناميكيّة متسارعة وحركيّة مستمرة بالرّغم من كونه لا يزال مترددًا إزاء تبني القيم الحداثيّة، ما يجعل منظومته القيميّة تعيش حالات الأزمة crise de valeurs، التي تعكس إمّا الصّراع بين التّقليدي والحديث، أو محاولات تكييف التّقليدي مع المعطى الجديد، والسّياق المتحوّل.

وقد كان معظم أفراد المجتمع الجزائري يشكّلون مجتمعًا ريفيًا، كما أوضحت دراسة محمد السويدي حول هذا المجتمع حيث قال: «خلال النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر كان القطاع الحضري لا يشمل سوى 5٪ أو 6٪من مجموع السّكان الذين قدر عددهم بحوالي ثلاث ملايين نسمة سنة 1830 في حين تبلغ النّسبة بالرّيف 95 ٪ من المجموع الكلّي»[25]، ونتيجة لتعرض بناءاته الاقتصاديّة والاجتماعيّة إلى السّلب أو التّقسيم والتّفتيت هاجر نحو المدن سكان الرّيف الذين لا يملكون مداخيل اقتصاديّة دون أن يُحضَّروا للعيش في المناطق الحضريّة.

واستمر هذا التحوّل المجالي والحراك الجغرافي بعد الاستقلال، عندما ترك المعمّرون ورشات صناعيّة في المدن، تحتاج لليد العاملة، بالإضافة إلى أنّ التّوجه التّنموي الاقتصادي الجزائري حينها، والذي كان متجها بكثافة نحو القطاع الصّناعي، فتمّ إنشاء العديد من المناطق الصّناعيّة المحاذيّة للمراكز الحضريّة، ما دفع بأعداد من ساكنة الأرياف إلى النّزوح نحو المدن، للظفر بمنصب عمل، وامتيازاته الماديّة والاجتماعيّة، حتى أصبحت فئة عمّال المدن أكبر حجمًا ووزنًا في الجزائر، وبالرّغم من وجود تمايز وتناقضات عديدة بين الوسطيّن، وعسر المرور من نمط معيشي ريفي بسيط إلى النّمط الحضري المعقد ظلت هذه الجموع من النّازحيّن متمسكةً بنموذجها الأصلي الرّيفي، ومحاولةً تكييفه مع معايير وقيم المناطق الحضريّة، وتوليفه مع الوسط الحضري وعناصره الثقافيّة ليتماشى مع أهوائها، ونتجت عن ذلك ثنائياتٌ متناقضةٌ ومتعايشةٌ في الآن ذاته، تمثلت في ممارسات اجتماعيّة وصفها البعض بظاهرة "ترييف" المدن، وعبّر عنها مصطفى الأشرف بتحويل المدن إلى الوضعيّة نصف حضرية، والتي تشير إلى حالة عدم الاكتمال[26].

ولاحتواء هذه الأعداد المتدفقة من البادية و"الدوّار" و"الدّشرة" إلى مختلف المدن الجزائرية توسعت هذه الأخيرة بطريقة عشوائيّة وفوضويّة، فتشكّلت أحياء على أساس الرّابط الدّموي والانتماء القبلي أو القروي لسكانها، أي جعلها لا تستقطب إلاّ مجموعات الأسر المنتميّة للمرجعيّة الاجتماعيّة المشتركة، كمحاولة لإعادة إنتاج النّمط التّقليدي الرّيفي في المجال الحضري، لتوطيد المجموعة المحليّة، وتحصينها بمقاومة ما كان يعتقد من انتشار للميوعة والانحلال والفساد والجبن والانحراف... في المدن، غير أنّ مؤشرات الفقر والبؤس والبطالة والهشاشة الاجتماعيّة لم تسهل

عملية الانتقال إلى النّموذج التّضامني التّعاقدي الحديث، ولا المحافظة على الوضعيّة التقليديّة الأصليّة، فعانى الوافدون الجدد إلى المدن ولفترات طويلة من العُزلة، نتيجة محاولاتهم الانغلاق على دواتهم، وانعكاسًا لتلّك التّمثلات السّلبية نحوهم بوصفهم بـ "العروبيّة" وهو ما يعني التّخلف والجهل والخشونة وقلّة الدّراية باللّباقة، والحنكّة...، كما عانوا من مظاهر التأزم بسبب انبهار فئاتهم الشّبابيّة خاصّة بالمدينة وأنوارها وعاداتها ورهبة بناياتها، وولعهم بـ"بريق" التّحضر وما يتضمن من قيم التّحرر والاستهلاك والرّفاهيّة والتّسليّة...، وكان لتزايد الموجات النّازحة إلى المدن في بدايات تسعينيات القرن الماضي نتيجة تردي الأوضاع الأمنيّة في الرّيف الجزائري استمرار في تراجع النّمط المعيشي الحضري لصالح القيم والمعايير الرّيفيّة، وتأثير على كلّ النّواحي الاجتماعيّة والاقتصادية والسّياسيّة والثّقافيّة.

ولم تسلم بذلك شبكة العلاقات الاجتماعيّة بما فيها علاقات العمل والولاء والتّحالف والتّعاون أو التّصادم والصّراع من سيادة العلاقات القرابيّة والجهويّة والزّبونيّة...، كما تغيرت العناصر الثّقافيّة كالتّقاليد والأعراف والرّموز ونمط التّفكير ومنطقه، وتنامي قيم التّحرر بالاكتساح التّدريجي لوسائل الاتصال الحديثة، وانتشار التّعليم بفضل مجانيته وإجباريته استقطب كلاّ الجنسيّن، وارتفع بذلك المستوى التّعليمي للمرأة خاصّة وسُمح لها بالولوج في عالم الشّغل، وإكسابها للاستقلاليّة الاقتصاديّة، والحق في التّفاوض بوصفهافاعلاًاجتماعيًاجديدًاأوشكلاً من أشكال الهوّيات المُتطلّعة Des identités émergentesما جعل بعضهن يناضلن من أجل فكّ قيد الهيّمنة الذّكوريّة، وتجاوز المخيال الاجتماعي التّقليدي بمضامينه الثّقافيّة الموروثة التي تحط من شأن الأنثى وتحتقرها، وتحرير النّاشئة من قيم الولاء والطّاعة والخضوع، مقابل حملات البنيات المقاوِمة والممانِعة للتّغيير والتي تحاول فرض الامتداديّة الثقافيّة التّقليديّة في الوسط الحضري بمبررات دينيّة في العديد من الأحيان، ما ترتب عن ذلك ظهور نموذج انتقالي أو تحوّلي يتموقع بين النّمطيّن، كنتيجة حتميّة لتلاقي عناصر ثقافيّة متباينة ومشتركة في توجيه مسار المجتمع الجزائري.

4-الآثار البنائيّة عل الأسرة الجزائريّة وسلطتها الأبوية:

قبلالخوضفيآثارهذهالتحولاتالمجتمعيةعلىالأسرةالجزائريةتجدرالإشارةإلىأنّمعظمالمجتمعاتالمعاصرةقدتعرضتإلىتغيراتأسريةعميقة،ولمتسلممنذلكحتىالأسرذاتالثقافةالريفيّة،وبهذاالصدديذكردوركايمأنّالأسرةأخذتفيظلالثقافاتالرّيفيّةتتقلصمنأكبرأشكالهاالمعروفةإلىأشكالأصغرفأصغر،حتىسمّيهذهالظاهرةبقانونتقلصحجمالأسرة،كماأنّكثافةالعلاقاتالمتبادلةداخلالأسرةقدانخفضتبشكلملفتعمّاكانتعليهسابقًا،مايعنيأنّالتتابعالبنائيللأنماطالأسريةيرتبطبالتّطورالتّاريخيالذييسيرفياتجاهواحد[27]،كحركةتتسمبالتفاعلالمستمروالمتجدد،ويتممنخلالهاإعادةتوزيعالأدواروالوظائف،ويؤكدكلٌّمنولياماجبرن W. Ogburn وميردوك Murdock أن مأساة الأسرة الحديثة تكمن في فقدانها لأغلب وظائفها التي كانت تقوم بها[28]، في حين يشيربارسونز إلى قدرة الأسرة على استيعاب كل المعوقات الوظيفيّة باستمرار، وما تحوّل الأسرة المعاصرة إلى النّمط النّووي إلاّ مؤشرًا من مؤشرات تجديد ميكانيزمات وظائفها ومحاولة تكييّفها مع متطلبات التّغيير الاجتماعي، للمحافظة على توازن نسقها باستمرار[29].

لذلكفإنّللتّحولاتالتيتعرضلهاالمجتمعالجزائريالأثرالواضحعلىالأسرةلأنّهاتمثلالوحدةالأساسيّةلبناءأيمجتمع،ولعلمظاهرالحراكالجغرافيوالنّموالدّيموغرافيوانتشارتكنولوجياتوسائلالاتصالواشتدادعملياتالتثاقففأفقدالأسرةالجزائريةبعضسماتالبناءالأسريالتّقليديالممتد،وأظهرتبنّيهالبعضمميّزاتالشّكلالنّووي،وهومايؤكدهالسّويدي:

«بعدالاستقلالبدأتتتشكلبوضوحأسرجزائريّةتجمعبينخصائصالأسرةالحضريةووظائفالأسرةالتقليدية»[30].

لذلكيمكنالقولأنّالأسرةالجزائريةالمعاصرةقداستطاعتأنتتأقلممعالتّحولاتالتيحدثتفيالمجتمع،واتخذتشكلاًقدتبدولناأنّهانوويةفيظاهرها،غيرأنّهالمتقطعصلتهابأسرةالتّوجيهالتيانحدرتمنها،كماحصلمعأسرالمجتمعاتالأوروبيّةالتيتبنتالبنيّةالنّووية،وهومايعنيتشكّلنوعجديديختلفعنالأشكالالمعروفة،وكأنهيوحيإلىحالةانتقالية،بحيثتحملهذهالأسرةمكوناتالنّوعالحديثالنّوويوخصائصالنّوعالتّقليديالممتدفيالوقتنفسه،وانتقلبذلكالأبناءبعدزواجهمإلىمساكنهمالخاصّةإلاّأنّهمبقواعلىاتصالدائمبأسرهمالأصليّةالتيانحدروامنها،ولهذايمكنتسميةالأسرةالجزائريةالمعاصرةبالأسرةالانتقاليّة،التيتعبّرإمّاعنعسرالتّحولمننمطإلىنمطآخرمختلفأوعنمحاولاتللتأقلممعوتيرةحركيةالمجتمعأوعنقوةالتّقليدوآلياتالمراوحةالتيلاتزالتشدالفردالجزائريإلىالخلف.

لقدتقلصتالأسرةالجزائريةفيبنيتها؛فأصبحتتتميزبالحجمالصّغيرنسبيًا،كماازدادترغبةالأبناءالمتزوجينحديثًافيالانفصالالإقاميعنالوالدين،غيرأنّهذهالاستقلاليةلاتمثلانفصالعنالأسرةالوالدية،بلظلتالرّوابطالتوا

صليّةمستمرةً،ومنبينالعواملالتيساعدتعلىهذاالنوعمنالانفصالالاستقلاليةالاقتصاديةللأبناءعنالأسرالتيينح درونمنها،وعنبقيةالأقارب،فهميؤمّنونمعاشهمفيالغالباعتمادًاعلىالعملالمأجوروعلىالرّاتبالشّهريالذييتقاضونه ،ولميعودوابذلكمرتبطينبالنّشاطالاقتصاديلأسرهم،ولامعنيّينبالإرثالمشتركالمتمثلفيالأرضوالمنزلالكبيرمثلماكا نحالالأسرالتّقليدية،كماأنّلنمطالمساكنالحديثةوالتيتتميزبالعددالقليللغرفوضيقهادورٌفياتجاهالأبناءللانفصال عنأسرهمالأصليةفورزواجهم،بالإضافةإلىبروزقيمالفردانيةindividualismeوتبلورهابماتحملمنتوابعجعلتا لأفراديرغبونفيالابتعادعنالضغوطالاجتماعيّةالمختلفةوالتّخلصمنكلّصورالهيمنة.

5-الآثار الوظيفيّة التّفاعلية على الأسرة الجزائريّة وسلطتها الأبوية:

لقدكانللعاملتحديثالمجتمعالجزائريبظهورالمؤسساتالاجتماعيّةوالتنشئويةعلىوجهالخصّوصواتساعنطاقهادورٌفيا لتأثيرعلىوظائفالأسرة،بمزاحمتهافيوظائفمعينةوانتزاعهالوظائفأخرى،ولميقتصرالأمرعلىالاقتصاديةمنهافقطبتق لصالدورالإنتاجيللأسر، وبتوسع الفرديّة الاقتصادية التي سمحت بالتّحرر من العائلة والقبيلة، وازدادت احتمالات تفجر الأطر الجماعيّة، بتراجع رباط القرابة أو زواله ليحل محله عامل المصلحة،بلتعدتهاإلىالتّعليميةوالتربويةوالدّينيةوالأمنيةوحتىالترويحية،ونتيجةلذلكانحصرتالوظائفالأساسيةللأ سرة،وهذالايعنيأنّالأسرقداستسلمتللأمرالواقع،فتنازلتعنوظائفها،بلقدأدركتأنّممارسةمختلفمهامهايرتبطبشك لوطيدبالبنياتالأخرىوالسّياقاتالاجتماعيةفيبعدهاالإكراهيوالإلزامي،غيرأنّهاعلىغراركلالبنياتتعملعلىممانعةوم قاومةكلتغيير،فتتفاوضبذلكمنأجلالتنازلالجزئيعنبعضوظائفهابعدماكانتمكتفيةبذاتهامنقبل [31].

ولقدكانلهذاالتّنازلالكلّيأوالجزئيتهديدًاللنّظامالتقليديالأبوي،ومازادفيتراجعالقدرةالتأثيريةللآباءعلىأفر ادأسرهم،هواستفادةالمرأةمنهذهالتّحولاتالمجتمعية،التيسمحتلهابولوجمجالالتعليمالحديث،فلميعدالرجليح تكرالمعرفةويدعيامتلاكالحقيقةالمطلقة،كمامكّنهاالاندماجفيسوقالعملمنكسرقيدالتبعيةالاقتصاديةوالتّحرر الاجتماعيمنالسّيطرةوالخضوع،وبروزهاكقوةتفاوضيةتنذربتفككالنظامالأبوي،وفقدبذلكالأببعضًامنسلطت ه،وفرضعليهالسّياقالمتحوّلالتفاوضوعدمالتّشددفيمعاملتهلأفرادأسرته،وتغليبأسلوبالحوارفياتخاذمختلفالقرارا تالأسرية،ماأدّىإلىالاستقلاليةالنسبيةللأبناءالتيسمحتلهمبالميلنحوإنشاءالعلاقاتعلىأساسالاختيارالحر،كما هوالحالبالنسبةللزّواجالذييعتبرهبارسونزبمثابةالمفتاحالبنيويالأساسيللقرابة،والمؤثرفيالأسرةالحديثة،والمرتبطبعوا ملتقسيمالعملوالتخصصالقائمةفيالمجتمع،والذييحوّلهاإلىوحدةاجتماعيةمتخصصةبنائياووظيفيًا [32].

لذلكفقدتحوّلالزواجعندالعديدمنالأسرالجزائريةوبخاصةتلّكالتيتقطنالمدنمنالشأنالأسريإلىالأمرالشخصي،ومننمطهالدّاخليإلىالنوعالخارجيExogamieوهويقضيبضرورةزواجالمرأةأوالرجلمنأشخاصخارجةبيلتهمأوعشيرتهمأوقريتهمأوطبقتهمالاجتماعيةأوجماعتهمالدّينية،فقديكونهذاالزواجاختياريًاأوإجباريًا[33]،وكأنالأمريتعلقبكسرالحواجزوتجددصياغةالأسسوالقواعدالتيبموجبهايتمحورمجالالزّواجببروزمحدّداتالتأهيلوالمهارةوالمصالحالحيوية...،والتراجعالتّدريجيلتأثيراتعواملالقرابةوالانتماءالدينيوالإثني،فلمتعدظاهرةإعلاناتالزواجفيمختلفوسائلالإعلاموالاتصالالحديثةتلقىالمقاومةوالرفضالمجتمعيكماكانتفيبداياتهاالأولى،وهولايعنيبالضرورةأنّالنسقالقرابيللأسرالجزائريةقداضمحلوأصبحتهذهالأخيرةشبيهةبالنمطالأسريالأوروبي،بللاتزالالروابطالقرابيةوعلاقاتالجيرةترتبطبقيماجتماعيةودينيةرغممعاصرتهاللتطورالصناعيوالتكنولوجي،وتوجهالفعلالاجتماعينحوالتمدن،ويتجلىذلكمنخلالتبادلالزياراتفيالمناسباتالمختلفةكالأعراسوالأعيادوالختان...،غيرأنّهالمتعدإجبارية،بلأضحتتشبهإلىحدٍماعلاقاتالصداقةبحيثأنّهاأصبحتتقومعلىالاختيارالواعي،والميلالوجداني،لمتعدمجردانعكاسللرابطالدمويوعلاقاتالمصاهرة[34].

خاتمة

رغمأنّالمجتمعالجزائريالمعاصرلايزالمترددًاإزاءالحداثة،إلاّأنّهيعيشتحوّلاتاجتماعيةعميقة،قدتتجلىبوضوحفيمعطياتهالدّيموغرافيةوحركيةسكانهالمحاليّة،وإصلاحاتهالتّعليميّة،ومساراتهالاقتصاديةالتيأثرتعلىمظاهرالملكيةوأشكالها،فهوالمجتمعالذييتمدنتدريجيًا،وأنماطعيشأفرادهتتغيّرباستمرار،وقنواتالتواصلوالتعبيربينهمتتجدد،وهومانعكسعلىتعقدنسقالتّدرجالاجتماعي،وتغيّرفينمطالعلاقاتالاجتماعيةوتحوّلعميقفيالقيموالمعاييرالاجتماعيّة،التيسمحتبظهورتلّكالنّزعةالفرديةالجارفةرغممقاومةالقيمالتقليديةبثقلهاوإكراهاتهاالبنيويةوالرّمزية،والتيلمتسمحللفردالجزائريبالتّخلصالكلّيمنترسباتالموروثالثقافي،ودورهفيتشكيلذهنيتهوتبعيتهوإعادةإنتاجه،وكأنالأمريتعلقبنوعمنالصّراعبينهاوبينالقيمالحديثةأويشيرإلىمحاولةتكييفالنّمطالتقليديمعالمعطىالجديد.

لقدانعكستمثلهذهالتّحوّلاتعلىجلالمستوياتالاجتماعيّة،وعلىمستوىالمساهمةالنسائيةعلىوجهالخصوص،بحيثأنّولوجهنعالمالتّعليموالعملقدفتحلهنآفاقًاواسعة،ومكّنهنمنالبروزكفاعلاجتماعيجديدٍومؤثرٍعلىالبنيةالأسرية،ووظائفعناصرها،وأدوارهموعلاقاتهمالمختلفة،وأصبحبذلكنزوعالأسرنحوالانفصالالسّكنييماثيحملهمنتبعاتومستلزماتكالحريةوحقالاختيارواضحًا،معوجودتعديلاتمهمّةفيتوزيعالعملونوعيةالأدواروالحقوقوالواج

بات،والتفاوتفيالمسؤولياتوالسلطة،وهومالايعنيتبنياالنّوعالأسريالنوويالغربي،بحيثيكونهذاالانفصالمصحوبًابا ستمراريةالعديدمنالالتزاماتالقرابيّةوالاجتماعيّة،أوبتعبيرآخرلاتزالالأسرةالتّقليديةمقاومةًللتغييربغيةالاحتفاظ علىمكانتهاومركزهاوسلطتهاالأبوية

"الرمزية"،فهيتركتكنفيتفاعلعناصرهاالمختلفةمعبعضهمالبعضإلتدبيرمزدوجيؤجلالقطيعةمعالنمطالسلطويالأ بويالتقليديويحاولجاهدًاإدامةإستمراريته،ولايعلندخولهفيالحداثةبشكلواضحإلاّبامتزاجواستدخالالعصريضم نالتقليديكصيغةتوليفيةممكنةلمسايرةمايفرضهالسياقالعالميالمتحول.

الهوامش:

---

1 - Norbert Sillamy, **Dictionnaire de la psychologie**, édition LAROUSSE, Paris, 2003, p74.

2- مجدالدينمحمدبنيعقوبالفيروزآبادي،**القاموسالمحيط**،دارالمعرفة،ط04،بيروت، 2009،ص629.

3 - مجمعاللغةالعربية،**المعجمالوسيط**،مكتبةالشروقالدولية،ط04،القاهرة، 2004،ص443.

4- مدكورإبراهيموآخرون،**المعجمالفلسفي**،الهيئةالعامةلشؤونالمطابعالأميرية،القاهرة، 1983،ص98.

5- دينكنميتشيل،**معجمعلمالاجتماع**،تر: إحسانمحمدالحسن،دارالطليعة،ط02،بيروت، 1986،ص29-31.

6- ريمونبودونوفرنسوابوريكو،**المعجمالنقديلعلمالاجتماع**،تر: سليمحداد،ديوانالمطبوعاتالجامعية،الجزائر، 1986،ص372.

7- Boutefnouchet Mustapha, **La Famille Algérienne**, Société Nationale d’édition et de diffusion, Alger, 1992, p38.

8- محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص176.

9- دينكن ميتشل، **مرجع سابق**، ص97.

10- كلود ليفي شتراوس، **الأنثروبولوجية البنيوية**، تر: مصطفى صالح ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1977 ، ص73.

11- الخولي سناء، **الزواج والعلاقات الأسرية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983 ، ص39.

12 - هشامشرابي،**مقدماتلدراسةالمجتمعالعربي**،الأهليةللنشروالتوزيع،ط03،بيروت، 1981،ص23-24.

13- محمد عاطف غيث، **مرجع سابق**، ص180.

14- **المرجع نفسه**، ص181.

15- Murdock George Peter, **De la structure sociale**, traduit: Sylvie Laroche et M. Giacometti, presses Bussières, Saint Amand, France, 1972, P 30.

16- دينكن ميتشل، **مرجع سابق**، ص184.

17- **المرجع نفسه**، ص86.

18 – فادية عمر الجولاني، **الأسرة العربية: تحليل اجتماعي لبناء الأسرة وتغيّر اتجاهات الأجيال**، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص15.

19 - Bourdieu Pierre, **Sociologie de l'Algérie**, presse Universitaire de France, Paris, 1974, p20.

20 - BoutefnouchetMustapha, **op cit**, p30.

21- الساعاتيحسن،**العالمالصناعي**،دارالنهضةالعربيةللطباعةوالنشر،ط03،لبنان، 1980،ص58.

22- BoutefnouchetMustapha**,op cit**, p40.

23 - Zerdoumi Nefissa, **Enfant d'hier**, édition Maspero, Alger, 1979, p34.

24- Sari Djillali, **Le poids démographie dans la tourmente algérienne**, Rapport de recherche N°01, CEPED, Paris, 1996, p03.

25- السويديمحمد،**مقدمةفيدراسةالمجتمعالجزائري**،ديوانالمطبوعاتالجامعية،الجزائر،1990،ص80.

26- Lacheref Mustapha, **Ecrits didactiques sur la culture, l'histoire et la société**, Alger, 1988, p316.

27- الضبععبدالرؤوف،**علمالاجتماعالعائلي**،دارالوفاءلدنياالطباعةوالنشر،ط01،الإسكندرية،2003،ص107.

28- Ogburn (William). **Technology and the changing family**, Boston : Hougton Mifflin, 1955, p70.

29- الخولي سناء،**التغيرالاجتماعيوالتحديث**،دارالمعرفةالجامعية، الإسكندرية، دس، ص211.

30- السويديمحمد،**مرجعسابق**،ص89.

31- الخوليسناء،**التغيرالاجتماعيوالتحديث**،**مرجعسابق**،ص210.

32- خيريمجدالدينعمر،**العلاقاتالاجتماعيةفيبعضالأسرالأردنية**،الجامعةالأردنية،الأردن،1985،ص19.

33- دينكن ميتشل، **مرجع سابق**، ص93.

34- شكريعلياء،**الاتجاهاتالمعاصرةفيدراسةالأسرة**،دارالمعارف،القاهرة،د.س،ص169.